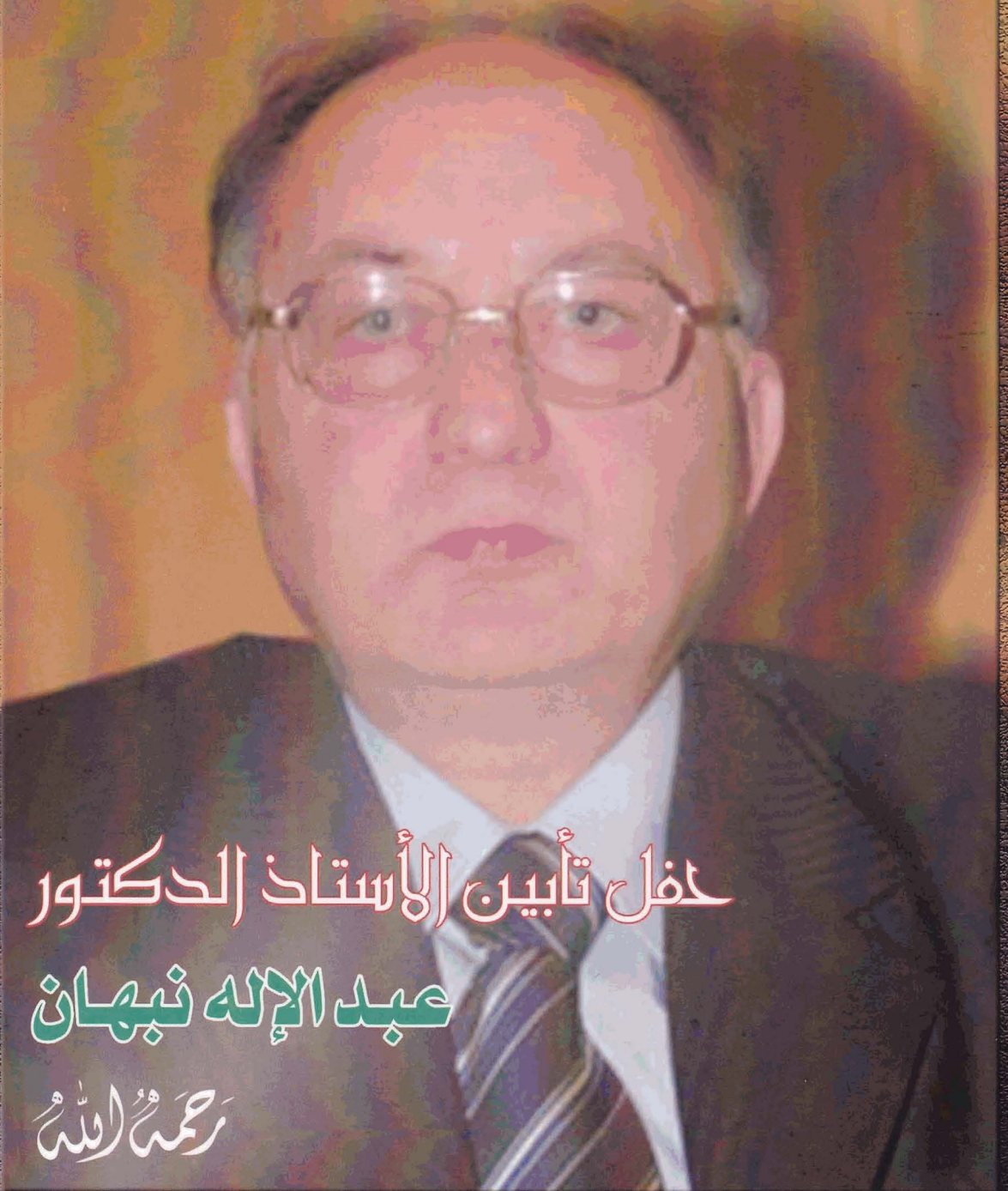


مجتمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٧



حفلة تأبين الأستاذ الدكتور

عبد الإله نبهان

رحمه الله



مجمع اللغة العربية بمشق
٢٠٠٧

حفلة تأبين الأستاذ الدكتور

عبد الإله نبهان

رحمه الله

حفلة تأيين

الأستاذ الدكتور

عبد الإله نبهان

رَحْمَةُ اللَّهِ

عضو المجمع الراحل
الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان

حفلة تأبين الأستاذ الدكتور

عبد الإله نبهان

رحمه الله

أقيمت في الساعة الثانية عشرة من يوم الأربعاء ٧/ جمادى الآخرة/ ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٠/ كانون الثاني/ ٢٠٢١م في قاعة الدكتور أحمد منيف العائدي في مجمع اللغة العربية بدمشق حفلة تأبين للراحل الكبير الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله. وقد اختار الله فقيدنا إلى جواره في ٢٦/ ١٠/ ٢٠٢٠م بعد رحلة طويلة حافلة بالعلم والعطاء.

افتتحت الحفلة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم أقيمت الكلمات التأبينية الآتية:

- ❖ كلمة مجمع اللغة العربية ألقاها الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع.
- ❖ كلمة جامعة البعث ألقاها الدكتور طلال خليل عميد كلية الآداب.
- ❖ كلمة أصدقاء الفقيد ألقاها الدكتور عصام الكوسى.
- ❖ كلمة طلاب الفقيد ألقاها الدكتورة خديجة الدالاتي.
- ❖ كلمة زوجة الفقيد السيدة غانية السباعي
- ❖ كلمة آل الفقيد ألقاها نجله المهندس مصعب نبهان.

كلمة عريف الحفلة

للأستاذ محمد زياد حلمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ أَلْحُدَّ أَفَايِنَ مَتَّ فَهْمُ الْخَلْدُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥].

صدق الله العظيم

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق...

السادة أعضاء المجمع الأكارم...

السادة الضيوف الأعزاء....

أيتها السيدات أيها السادة...

تحية مباركة طيبة..

نجتمع اليوم في مجمع الخالدين... مجمع اللغة العربية بدمشق لتأبين

واحد من رجالات العلم والأدب...عالم جليل من سدنة اللغة العربية

الأمناء عليها.... إنه الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان.. رحمه الله..

لقد ترَّجَّل فارس الميدان.. وباري القوس.. بعد أن قدَّم للعربية أعوامًا
مديدة من عمره قضاها في البحث اللغوي.. والتعليم.. والارتحال في طلب
العلم.. وأشرف على العديد من رسائل الدراسات العليا.. فتخرَّج عليه
الكثير من الباحثين ممن عشقوا اللغة العربية.. وأخلصوا لها..
وقد صدق من قال:

موتُ النقيِّ حياةٌ لا نفاذَ لها قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ
رحم الله أستاذنا العالم الجليل اللغوي الأديب الدكتور عبد الإله نبهان
أبا مصعب، وأنزل على قبره غيث رحماته.

أيها السادة الكرام.. خير ما نستهل به مجلسنا آياتٌ من الذكر الحكيم
يتلوها علينا القارئُ الأستاذ رياض عطايا فليتنفَّضل مشكورًا.
هكذا يرحلون.. مثلما يرحلُ الغنيمُ مُثقلًا بحباتِ المطر.. ومثلما ترحلُ
الأمنياتُ.. وهكذا يموتون.. مثلما تموتُ البذور في موسمٍ خصيب..
أيها السادة الأفاضل..

نستمع الآن إلى كلمات تأبينية كريمة من علماء أجلاء واكبوا مسيرة
الفقيد.. وربطتهم به علاقات وطيدة على صعيدي العمل والحياة. نبدؤها
بكلمة مجمع اللغة العربية بدمشق يليها راعي الحفلة الأستاذ الدكتور
مروان المحاسني رئيس المجمع.. فليتنفَّضل مشكورًا....



كلمة رئيس مجمع اللغة العربية الأستاذ الدكتور مروان المحاسني

أيها السيدات والسادة

إنه يوم حزين يدعوكم فيه مجمع اللغة العربية إلى المشاركة في تأيين باحث نادر المثال كان له من المزايا ما جعل له موقعاً متميزاً بين الباحثين في أدق المسارات اللغوية العربية التي تشكّل لبّ اهتمامات مجمع اللغة العربية. ونحن اليوم حين نتكلم عن الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله، الذي انتخب عضواً عاملاً في مجمعنا عام ٢٠٠٨، لا بدّ لنا من توضيح مساره النير في عدد كبير من مجالات اللغة العربية التي مازالت تحتاج إلى ذلك المستوى العالي من الدراسة والتمحيص.

وإني حين أتطرق لسيرته الذاتية باختصار لا بدّ لي من تأكيد تقديري الكبير لجامعتنا العريقة التي هيئت الفرص لبروز هذا المستوى العالي من المعرفة في أعماق لغة لا ينكر أحد أنها من أوسع اللغات في عالمنا، وأن نظامها اللغوي له ثوابت عقلانية متينة.

فقد كان لفقيدنا تدرّج جامعي لامع يتضمن درجاتٍ علمية متكاملة، من

الإجازة باللغة العربية وآدابها عام ١٩٦٨ إلى الدكتوراه بدرجة الشرف في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٩٠، وذلك بعد اجتياز امتحانات الشهادة العامة في التربية عام ١٩٦٩، وشهادة الدراسات اللغوية العليا عام ١٩٧٦، وشهادة الماجستير باللغة العربية بدرجة امتياز عام ١٩٨٠.

أيها السيدات والسادة

إنه مسار نيرٍ تتبَّع فيه المراحل العلمية والبحثية، العامرة بدقائق اللغة العربية، بما يثبت تميّزها عن معظم اللغات العالمية الأخرى، حين نذكر المجالات اللغوية التي انغمسَ فقيدها في دراستها.

وهذا ما جعله يتميز أستاذًا للغة العربية في جامعة البعث وجامعة الإمارات العربية، وهو مستمر في متابعة البحوث فقد ترك لنا آثارًا علمية تضمنتها مؤلفات بارزة، ككتابه عن ابن يعيش النحوي، إضافة إلى كتابه عن اللغة والنحو والبلاغة عام ١٩٩٥، وذلك إلى جانب إنتاجه الواسع في مجالات التحقيق لآثار تراثية هامة كإعراب الحديث النبوي للعكبري، إضافة إلى تحقيقه مجموعة المختار من معجم البلدان لياقوت الحموي، بتفصيل دراسة البلدان الفلسطينية والأندلسية، إضافة إلى سفر ثالث يتعلق بسورية ولبنان والأردن.

لقد كان متميزًا في أمور التحقيق بما سمح له أن يتولى التحقيق لكتب تراثية مرموقة كالمقصود والممدود للفراء، والأشباه والنظائر في النحو للسُّيوطي، حيث تطرق إلى توضيح المنهج التنظيمي للكتاب وإلى مصادره النحوية.

وقد كانت نظرته إلى الشهيد عبد الحميد الزهراوي أحد شهداء ٦ أيار نظرة إكبار جعلته يخصص لإنتاجه الفكري كتابين يبرزان القيمة الثقافية التي فقدتها سورية باستشهاده.

كل ذلك إلى جانب المقالات المفسرة لبعض المؤلفات التراثية، وكان ينشرها في عدد من المجلات الأدبية إلى جانب مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

إلا أنه تميز إلى جانب تلك البحوث بأنه كان يتابع ما ينشر من دراسات تتعلق بكتب معروفة لمؤلفين قد تجاوزوا مواقع النقد كابن العديم وابن الحنبلي والصاغاني والسجستاني، ولا يتردد في إبداء ما يراه من نقد بناء يساعد على توضيح إنتاجهم.

كما أن له مجموعة من المقالات النقدية ثابر على نشرها في المجلات الثقافية منذ ثمانينيات القرن الماضي حتى أيامه الأخيرة. وقد أبدى إعجابه بالمستعرب الألماني فون غرونباوم وتعرض لمناقشة بعض نظراته، دون إنكار مافي أعماله من فهم عميق للغة العربية.

أيها السيدات والسادة

لقد كان فقيدنا واحدًا من الذين أرادوا خدمة اللغة العربية على جميع المستويات التي يمكن أن تعيد إليها موقعها بعد توضيح حقائق تفردتها، وكشف إمكان الإفادة من تراثها العريق في خدمة ثقافة عربية تُماشى متطلبات الحداثة، وتفتح الأبواب واسعة لمسايرة التطورات العالمية السريعة. ومن أهم هذه الأعمال كتابه عن الفهارس الشاملة لكتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ويضم كتابه ٧٠٠ صفحة تصلح مسردًا جاهزًا لفهم تطور اللغة بتأثير الحداثة.

أيها السيدات والسادة

لن أطيل في سرد ذلك العدد الكبير من البحوث الهامة الموزعة بين

الدراسات الشعرية، ودراسات دقيقة في أمور البناء والإعراب، والعديد من المجالات اللغوية الهامة، إلا أنني أذكر إقدامه على إجابة سريعة لما يطلبه منه مجتمعنا في أمور رأينا أنه خيرٌ من يكون محكّمًا أو ناقدًا لها نظرًا لما عرفناه عنه من التجرد والخبرة الطويلة في مجالات النقد والتحقيق.

إلا أنه لا بدّ لي من القول بأن خسارتنا كبيرة برحيله، وقد كان عمادًا موثوقًا يلجأ إليه للوصول إلى المستوى الأعلى من الحكم النزيه في تحديد قيمة أي بحث جدّي. فقد كان من حراس اللغة العربية القائمين على ضرورة الحؤول دون أن يُصيها التدني حين يدخل التساهل إلى قرارات مجامع اللغة العربية.

وإن المثال الذي أعطاه فقيدنا في حرصه على صون دقائق النظام اللغوي المتميز للغة العربية سيبقى لنا مستندًا في متابعة ما يقوم به مجتمعنا في خدمة اللغة العربية والإصرار على جعلها حاملًا قادرًا على تأمين متطلبات الحداثة المتسارعة.

رحم الله فقيدنا وأسكنه فسيح جناته.



كلمة رئيس جامعة البعث

الأستاذ الدكتور طلال الخليل

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها الحفل الكريم

أقف هذا الموقف باسم رئاسة جامعة البعث ممثلةً بالأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب، الذي يشكر مجمع اللغة العربية ورئيسه على تنظيم حفلة التأيين هذا، ويكرر تعازيه القلبية لفقدان علم من أعلام جامعة البعث بعد أن تابع حالته الصحية في المشفى بشكل مستمر. كما أقف هنا باسم عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أساتذة وموظفين وطلاباً لنؤبن عالمًا موسوعيًا، وهو الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان.

إن الموت حق، فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤]. صدق الله العظيم.

فالموت قدرنا جميعاً، ولا راد لقضاء الله، ولا ينجو منه أي مخلوق كبيراً كان أم صغيراً، شريفاً كان أم حقيراً. ولكن الغصة تكون كبيرة ومؤلمة، ويزداد الخطب فداحةً حينما نفقد عالماً من علمائنا الكبار من أمثال المرحوم د عبد الإله نيهان، الذي كان بحق أهم أعلام اللغة في جامعة البعث، الذي درس عليه ونهل من طيب علمه الكثيرون، فقد كان فقده ثلماً لا يسدها شيء.

إن معرفتي بالدكتور عبد الإله ليست وليدة تسلمي عمادة كلية الآداب، فقد عرفته مذ كنت طالباً ثم معيداً وكان حينها نائباً للعميد وكنت أعجب بهدوئه في فترة الامتحانات عند سحب الأسئلة من أوراق ما كان يسمى ورق الحرير. ولكن معرفتي به عن قرب ازدادت حينما غدوت عميداً للكلية، فقد كان رحمه الله مثلاً يحتذى للرجل الذي امتلأ علماً.

إن من أهم السمات التي امتاز بها المرحوم علمه الواسع في علوم اللغة العربية نحوها وصرفها ومعرفته الواسعة بأعلام اللغة وبمؤلفاتهم. إنه موسوعة علمية بامتياز، موسوعة كل صفحة منها تنبئ عن هذا العالم الفذ. أما السمة الثانية فهي التواضع، إذ لم يشعر أحداً، وهو ما هو من العلم، أنه مميز عن باقي المدرسين في الكلية، فقد كان أكثرهم التزاماً بمحاضراته وبواجباته، بل كان يقوم بتنفيذها بنفس طيبة سمحة فلا أذكر أنه تغيب يوماً عن محاضرة له أو عن أي عمل إداري بل كنت أراه السباق.

والسمة الثالثة ذلك الحب الذي يكنه له زملاؤه وطلابه على حد سواء، فقد كان مكتبه - رحمه الله - ملتقى لكل طالب علم ولكل صاحب مشورة. وثمة سمة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرت، وهي رحابة صدره واتزانه في المناقشات العلمية، فقد كان ذا ملاحظات علمية دقيقة.

إن ما يتميز به المرحوم أيضاً صدقه وابتعاده عن المجاملة التي تكون على حساب العلم، فقد كان ذا رأي صريح وصادق نابع من قناعته من دون زيف. كما كان يتمتع بحس فكاهي راقٍ ذكي لم يفهمه إلا من عرفه عن قرب.

أيها الحفل الكريم:

أعبر عن عظيم ألمي لخسارة جامعة البعث هذا العلم الفذ فخسارته فادحة لا تعوض، ويصدق فيه قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فُقدُ مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير
رحم الله فقيدنا أبا مصعب وأسكنه فسيح جناته.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة أصدقاء الفقيه الأستاذ الدكتور عصام الكوسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

صدق الله العظيم

أيها الحفل الكريم:

أقفُ اليومَ موقفًا لا أَحْسَدُ عليه، حيثُ تختلطُ فيه الدموعُ الصَّامتةُ
بوجيبِ قلبٍ هدتهُ دُويهيَّةٌ تصفَّرُ منها الأناملُ، عجبًا لحروفٍ تناثرتُ هنا
وهناك، بذلتُ فيها ما بذلتُ، لعلِّي أصوغُ منها ما يعبرُ عما يجيشُ في الصَّدرِ
من مشاعرِ ألمٍ وحُزنٍ عَصَفَتْ بي مذ عَلِمْتُ بهذا المُصابِ الجللِ، إذ فقدتُ
صديقًا قلَّ نظيرُهُ، اخترمتهُ يدُ المنونِ، وهو في أوجِ عطائه العلمي، صديقًا
وفياً وعالمًا عتيقًا، امتطى صهوةَ الحرفِ منذُ نُعومةِ أظفاره، فطَاعَتْ له لغةُ
شموسٍ، تأبى أن تُسلمَ زمامها إلا لفارسٍ أصيلٍ.

أيها الحفل الكريم:

ها هي ذي المرّة الثانية التي أدخل فيها هذا المكان، المرّة الأولى كانت برِفقة أستاذنا النبهان لنحتفي به بعد أن اختاره أعضاء المَجْمَع زميلاً لهم، وليصبح عضواً أصيلاً في مَجْمَع الخالدين، واليوم أدخله مرافقاً روحه الطاهرة التي تحلّق فوق رؤوسنا.

ثمّة أحاسيس مؤلمة تفور في أعماقنا لهذا الفقد العظيم، بيد أننا نطأطئ رؤوسنا صاغرين أمام الموت وجبروته، فقد اعتاد الانتصار علينا في كلّ جولاته، غير أبه لنا ولا لآلئنا، يسوقنا واحداً واحداً ومشاعر العجز تكبلنا، يودّع بعضنا بعضاً، نرثي ونرثي، فصدق فينا قول أبي الطيّب المتنبّي:

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبِيلَ الْفَقْدِ مَفْقُودِ الْمِثَالِ
يُدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَتَمْشِي أَوْاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأُوَالِي

لقد غادرنا أبو مصعب في زمنٍ قلّ فيه الرجال، حينما التقيتُ به قبيل سفره إلى حماة لتحديد موعدٍ لمناقشة طالبٍ من طلابه لم يخطر على البالٍ قطُّ أنّ لقائي هذا سيكون الأخير، وأنّ الموت على بُعد خطواتٍ منه، وأنّ هذه المناقشة ستتمُّ من دونه.

عرفت الدكتور عبد الإله قبل سبعة عشر عاماً حينما قدمْتُ من دمشق إلى حمص لأكون مدرّساً لمقرر النحو والصرف في آداب جامعة البعث، وكان لا بدّ قبل البدء بالتدريس من لقاء شيخ العربيّة فيها؛ لأفيد منه، فأحسست أنني أعرفه منذ أمٍ بعيد، فمهّد لي الطريق بتوجيهاته، ومدّ لي يده السّمحاء لأسير إلى جانبه في هذا الدرب الشائك الجميل، ولفت نظري حبه الخير للجميع، وعشقه لغة الضّاد وغيرته التي لا حدود لها على اللغة المقدّسة.

وحين ألّفت كتابي الأوّل طلبتُ منه أنْ يقدّمَ له، فلم يتوان، وأهداني مُقدّمةً ستبقى وسامًا على صدرِ جميع مؤلفاتي، وأكملَ معروفه معي فشاركني في تأليف كتابي النحو والصرف للسنة الأولى من دون أن يلتفت إلى نسبة المشاركة كما يفعل الكثيرون، فقد كان جُلَّ اهتمامه أن يرى الكتابان النور.

واستمرّ التعاونُ بيننا، فكان أخًا بحقٍّ، ومرشدًا لنا في كلّ أمرٍ يتعلق باللغة، ولا سيّما أنّه كان - وما أقسى هذه الكلمة - مكتبةً متنقلة تضمُّ في خزائنها عددًا كبيرًا من كتب اللغة، وعالمًا تفاصيل كلّ كتابٍ وعددَ طبّعاته. لم يعترفُ أستاذنا بتقدّم السنوات، فعلى الرّغم من تجاوزه السبعين بسنوات خمسٍ بقي قارئًا نهمًا وباحثًا منقّبًا، لا يعرفُ الكلال أو الفتور، وعلى الرّغم من أنه كان جبَل علمٍ يستندُ إليه كلّ طالبٍ أو باحثٍ، فإنّه لم يبخلْ بمعلومة، ولم يستبدّ برأي له يومًا، فقد كان - رحمه الله - يستمع إلى كلّ الآراء برحابة صدرٍ قلّ نظيرها، ولم يخجلُ من قبول رأيٍ مخالفٍ له إن رآه صحيحًا، فهو لا يخشى من قول الحقّ ولو على نفسه. كان رحمه الله دمثًا هادئًا، قلّمًا يمتلكه الغضبُ أو يفقدُ هدوءه المألوف، وأشهد أنني ما رأيته يغضبُ إلا للسان الضّاد ذودًا عنه وإعلاءً لشأنه.

أيها الحفل الكريم:

إنّ الدكتور عبد الإله سيبقى حيًّا في نفوس من تلمذوا له ومن رافقوه في رحلته في دروب العربية، وسيبقى ما قدّمه إلى لسان الضّاد عصيًا على الموت متحدّيًا جبروته، وستبقى كلماته تتردّد في أسماعنا، ما دام العاصي يرددُ قولَ ديك الجن:

بِكَاءِ أَخٍ لَمْ تَحْوِهِ بِقَرَابَةٍ بَلَى إِنَّ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ أَقَارِبُ
وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا الَّتِي كُنْتَ جَارَهَا كَأَنَّكَ لِلدُّنْيَا أَخٌ وَمُنَاسِبُ
يُرْدُّ نِيرَانَ الْمَصَائِبِ أَنَّنِي أَرَى زَمَنًا لَمْ تَبْقَ فِيهِ مَصَائِبُ
رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مَصْعَبٍ، وَلرُوحِكَ الطَّاهِرَةَ فِي الْعِلْيَاءِ الرَّحْمَةُ
وَالسَّلَامُ، وَسَتَبْقَى خَالِدًا فِي نَفُوسِنَا وَعُقُولِنَا مَا ذَرَّ شَارِقُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

* * *

كلمة طلاب الفقيه الدكتورة خديجة الدالاتي

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيّها الحفْلُ الكريم..

أساتذتنا الأفاضل..

كلُّ الاحترام والتّقدير للقامات العلميّة في سماء العلم والثّقافة..

لا أدري.. أعبّر عن سروري أم أعبّر عن حزني.

أعبّر عن سروري لأنّني تشرّفت بالوقوف أمام حضراتكم.

أم أعبّر عن حزني بسبب المناسبة التي جعلتني أقف هذا الموقف.

هنالك أشخاص برحيلهم يزداد ظلامنا حُلْكَةً... يَعْبُرُونَ فِي دُنْيَا الْبَشَرِ...

يأبُونَ أَنْ يَكُونَ مَرُورَهُمْ فِيهَا عَادِيًّا... وَمُعَلِّمُ الْأَجْيَالِ؛ مَعْلَمُنَا وَقَدُوتُنَا الدّكتور

عبد الإله نبهان في مقدّمتهم.. لقد غادرنا إلى دار البقاء جسّدًا، أمّا روحه فباقية

تتجدّد ثمارها... ويتجدّر أصلها... ويسمو فرعها في السّماء.

لست هنا في موقع الشّهادة للفقيه، فهو في غنى عن ذلك... ولا

يمكنني مهما أوتيت من بلاغة وحسن تصوير أن أوفّيه حقّه، ولكن...

حسبي أن أتقياً مقامه الجليل وأن أشارك في تأبينه باسم كل طلابه الذين سيحملون فضله في قلوبهم ووجدانهم ما عاشوا.

كان خبر وفاة أستاذه ومعلمي الدكتور عبد الإله صاعقاً فاجعاً.. وكلُّ من سمع التبا يومذاك بدا وكأنَّ على رأسه الطير... وشاء القدر أن أكتب هذه الكلمة باسمي وباسم كلِّ من تلمذ لأستاذنا الغالي لأتحدّث عن قامته سامقة من قامات العلم والبذل والمجد والعطاء.

على أن أحسن تأبين يريح روح فقيدنا الغالي هو استخلاص العبر من سيرته... وانتهاج سلوكه... واقتفاء خطاه... وأحسن شهادة في حقه ليست الكلمات مهما كانت منمّقة ومختارة، بل العمل من بعده بجِدٍّ وإخلاص، والتحلّي بصفاته الحميدة، عسانا نستحقَّ بعضاً من ذكره الطيب.

كان رحمه الله مثال العمل الدؤوب والإصرار والمثابرة التي لطلما جلبت له محبّة زملائه وطلابه وكلِّ مَنْ عرفه.

عرفنا الفقيد معلماً هادئاً، متسامحاً، حمل الأمانة بإخلاص، وأعطى للحياة ولمن حوله جهده وخبرته وتجربته وحبّه لهم، تمتّع بدمائة الخلق، وحسن المعشر، وطيبة القلب، والتواضع الذي زاده احتراماً وتقديراً ومحبّةً في قلوب النَّاس والطلّاب وكلِّ مَنْ التقى به.

لا يتأتّى عليه ميدان من ميادين اللّغة والنحو والتأليف والتّحقيق العلميّ الدقيق. أغنى المكتبة العلميّة والثّقافيّة بأغلى الكنوز وأصفى الدرر في مجال التّحقيق والتأليف.

وفي حضرة غيابه لا بدّ لي من أن أستحضر فضله العظيم... وخيره العميم عندما تحمّل مع زملائه الرّعيل الأوّل في كليتنا؛ أساتذتنا الأفاضل الأستاذ الدكتور أحمد دهمان والأستاذ الدكتور رضوان قضماني عبء

استحداث كلية الآداب في جامعة البعث في حمص... عملوا بصمت وجدّ
ومثابرة... استحدثوا الكلية... ودرّسوا موادها... وبنّوا مكتبتها العامرة...
فكانت بعض غرسهم الطيّب... خرّجت كبار الأدباء والمدرّسين الذين
سيتابعون مسيرة العطاء بإذن الله...

كانت أسعد أوقاتي حينما أزوره في مكتبه الذي يتشاركه مع أستاذنا
البلاغيّ الفدّ الأستاذ الدكتور سمير معلوف أطال الله في عمره... ذلك
المكتب الذي يعدّ محجّةً لأساتذة الكلية وطلّابها... يقصده كلُّ طالب علم
ومعرفة... نقضي فيه أجمل الأوقات نستقي من علمهما الوفير... ونكتسب
من أدبهما الرفيع... ونستمتع بالأحاديث الطريفة التي تكشف عن الجانب
الآخر من شخصيتيهما... ألا، وهو جُبهما للفكاهة الطريفة المؤدّبة.

لقد شَرُفْتُ وَسَعِدْتُ بأنّ كان فقيدنا الغالي مشرفاً على رسالتيّ لنيل
درجتي الماجستير والدكتوراه. كان شرفاً عظيماً لي أن أحظى بمجالسة ذلك
العالم الجليل وأقبس من نور علمه وفَيْضِ ثقافته الموسوعيّة.

ويحضرني هنا جلسائنا، الدكتور نبهان وأنا، عندما كنّا نناقش
الموضوعات المقترحة لرسالتيّ الماجستير والدكتوراه، ونضع خُطّة العمل،
ونجري عليها التعديلات والتصويبات بما يتلاءم مع سير البحث.

وإنّ أنسَ فلن أنسى حِرْصَهُ الشّدِيدَ على متابعة كلّ خطوات العمل
وتصحيح كلّ مراحلهِ.. وستبقى في ذاكرتي ما حييت بسمته الوضاعةُ
وسعادته الملتمة في عينيه فرحاً بنجاحي أو بنجاح أيّ طالبٍ من طلابهِ...
وابتهاجاً باجتيازه الدّفاع عن رسالته.

أستاذي القدير... هنيئاً لنا أنّا عرفناك... وحمدًا لله أنّك كنت الرّجل الذي
نعزُّ بالقول إنّه كان لنا الأخ الموجّه... والمعلّم النّاصح... والأب الرؤوف.

تركنا إلى دار البقاء... مودّعًا دار الفناء... مخلفًا لنا إرثًا كبيرًا وكنزًا
وفيرًا من الإنجازات العلميّة العظيمة... أفقلت باب الحياة بهدوءٍ وقورٍ...
وطويت صفحة العمر بعد أن زخرفتها بالمحبّة والعطاء والفرح والاتّزان.
كم هي قاسية لحظة الوداع والفراق التي تُسجّل وتُخْتزّن في القلب
والوجدان والذّكرة... وكم نشعر بالحزن وفداحة الخسارة والفجعة.
أستاذنا ومعلّمنا... رحمكم الله رحمة واسعة... فقد كنتم للعربيّة
حصنًا... وللبلّاحة موائلاً... عزّ نظيره في حوْمَةِ البيانِ العربيّ.
أطال الله في أعماركم جميعًا أساتذتنا الأفاضل... وأمدّكم بالصّحة والقوّة...
والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة زوجة الفقيده السيدة غانية السباعي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها الحفل الكريم...

كم نحن في غفلة عندما نحسب الموت بعيداً وهو أقرب إلينا مما نتصور... إنه الحقيقة المرعبة القاسية التي نهرب منها ونتجاهلها عبثاً... فيدركنا ويفاجئنا ويخطف أحببنا ونحن في وجل وذهول... ونكاد لا نصدق، أحقاً مات من كان ملء عيوننا وقلوبنا؟؟. أحقاً لن نراه أو نسمعه؟؟. أحقاً رحل وخلف وراءه كل شيء؟؟. أحقاً؟؟... أحقاً؟؟...

إنها الحقيقة التي يصفعنا بها الموت ليوظنا من غفلتنا... فكم كانت هذه الصفعة مؤلمة... والرحيل مفاجئاً... والوداع قاسياً لفقيدي ورفيق عمري... وليس كمثل رقيق... إنه السند والملاذ والحنان وشقيق الروح وجليس العلم والأنس...

ما كنت أحسب يوماً أن أكتب مرثية عنك وأقف أمام هذا الجمهور الكريم من أصدقائك وأحبابك وطلابك لأتحدث عن من كان ملء عيون الناس وقلوبهم...

أنا لن أتحدث عن حياة الفقيه العامة وعلمه ومآثره... فالمعروف لا يُعرّف... والجمع الكريم هنا يعرف من هو الدكتور عبد الإله نبهان ومن يكون حق المعرفة... وقد أعجز ولا أوفيه حقه في هذا الجانب الذي استفاض به زملاؤه وأصداؤه وطلابه في كلماتهم عنه... جزى الله خيراً كل من أثنى... وتحدث فأطرى... وكل من تعرض للجوانب المضيئة في حياة ومسيرة فقيدنا الغالي... فقد عرفتموه رجل علم وفكر وأدب... وعرفتم فيه مثال الأستاذ الجامعي المجمع، والمربي الفاضل، والعاشق المولع بلغته وعلومها وتراثها...

لكن من حقه عليّ أن أتحدث عن جوانب مضيئة أخرى في حياته... قد لا نبتعد كثيراً عما تعرفون عنه من دماثة الخلق وصفاء السريرة وعلو الهمة وطيب العشرة وروح الدعابة... وقد لا تختلف كثيراً عما أحببتم فيه من الصدق وحسن التعامل واحترام الآخرين وتقديس الوقت والمواعيد...

كان نعم الزوج المحب الصالح الكريم... ومثال الأب الحنون الناصح الحكيم المعطاء... المتطلع دائماً إلى الرقي بأبنائه إلى أعلى الدرجات العلمية والثقافية... وتزويدهم بأطيب الخصال وأنقاها... علمهم تحمّل المسؤولية وتجاوز الصعاب بثبات وحكمة... لقنهم دروساً في محبة اللغة العربية وحفظ تراثها والذود عنها... وكان القدوة لهم في تقديره ووفائه لأساتذته وعلماء اللغة... ولطالما ذكّرهم بأن العلم الرفيع لا يزينه إلا الخلق القويم والتواضع...

ويطيب لي أن أتحدث أيضاً عن علاقته بأحفاده الصغار (في الغربة)... كان مولعاً بهم... صديقاً لهم... يحادثهم بوسائل الاتصال... فيطمئن عنهم ويمتحن قدراتهم وتحصيلهم في اللغة والإعراب والعلم بأسلوب محب

مرح... و ينتظر إجازة الصيف ليلتقي بهم مُجدِّدًا جلسات المتعة والفائدة والمداعبة والحوارات الجميلة التي تشغل أحتبي الصغار عن لهوهم وطفولتهم... فمتعتهم في مجالسة جدهم والاستماع لأحاديثه المُشوّقة لا تعادلها متعة... إذ إنهم يفتقدونها في غربتهم... وللأسف سيفتقدونها عند عودتهم صيفًا إلى الوطن...

كم يحزنني أيها الراحل الغالي ألا أراك معهم بعد الآن... وألا تنتظر معي قدومهم من السفر... وألا نتشارك مراسم التهيئة لوصولهم... وأنت تحمل لهم ما لذ وطاب من خيرات الوطن التي يحبونها... كم يعزّ علي ألا أراك في مكتبك وفي ركنك الخاص مع فنجان قهوتك...

والله إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا أبا مصعب الحبيب لمحزونون...

فلترافقك رحمة ربي وواسع مغفرته... جعلك الله في جنات النعيم مع الشهداء والصالحين...

أيها السادة الأفاضل، رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية الموقر... أصدقاء الفقيه وطلابه وكل محبيه... أتقدم إليكم بعميق الشكر والامتنان لمشاركتم الطيبة ومشاعركم الصادقة... راجية من الله تعالى أن يرفع مقامه في الآخرة كما رفعه في الدنيا... وأن يجزيه الجنان التي وعد عباده الصالحين...

والحمد لله رب العالمين...

وشكرًا لكم...

* * *

كلمة آل الفقيه يلقيها نجله المهندس مصعب نبهان

الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية الموقر
السادة أعضاء المجمع
الحفل الكريم:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تشاء إرادةُ الله تعالى أن ألقى هذه الكلمة، وأنا بعيد عنكم وعن بلدي وعن مدينتي التي ارتبطت بها وارتبط بها والدي الحبيب، رحمه الله، ألقى هذه الكلمة من مصر الشقيقة التي أحبها والدي، وعاش فيها بعض الوقت مرتحلاً وراء المعرفة والعلم اللذين وَقَفَ لهما حياته، بقدر ما وَقَّهها للمحبة والخير والنبل والقيم السامية التي كانت معياراً يحتكمُ إليه في مسيرته العلمية والإنسانية الثرية.

نحن لا نتصور فقد أحببتنا، وكأنما العقل يُلغي هذا الاحتمال وينفيه، على الرغم من شواهد الماثلة كلَّ يوم. لذا يكون رحيلهم مباغتاً.. صادماً.. عصياً على التصديق. فلا تستوعب عقولنا، مهما عركتنا التجاربُ والأيام، أن يغيب الأُحبة بعد أن كانوا ملء القلب والسمع والبصر. ولا أعتقد أن آلام

فقد الوالد الراحل قد اقتصرت على أهله وذويه، بل كان الألم بقدر ما تركه من محبة واحترام في قلوب أصدقائه وزملائه وتلاميذه وجيرانه، إذ كان يملك الميزة الإنسانية الفريدة التي تجعل الإنسان قريباً من قلوب الناس، فكأنما صدق عليه قول الله، جلّ وعلا: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]. ولقد كان ما حظي به من حب من الناس انعكاساً لـحبه لهم.

لم تكن مصادفةً دراسةً والذي للغة العربية، بكل ما تمثله من أصالة وعراقة واعتزاز بالذات وانتماءً إلى الجذور، بل كانت اختياراً واعياً أقبل عليه بملاءمة إرادته، ووقفَ حياته لأداء رسالة آمن بجلالها، فكان واحداً ممن تركوا بصماتٍ لا تنسى، لا تعود فقط إلى علمه الغزير ومعرفته الأصيلية التي كان يصل الليل بالنهار من أجل صقلها وتنميتها، بل تعود بالقدر ذاته إلى الروح التي كان يؤدي بها رسالته أستاذاً آمن بما يفعل، وأفنى نفسه فيه راضياً، لأن هذه الروح هي التي تمنح طاقة الاستمرار والتوهج التي احتفظ بها الوالد الراحل حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

آمن الوالد بالتراث الذي أجله أعظم الإجلال، وأدرك أيّ حديقة غناء عامرة بالورود والرياحين والخضرة اليانعة تحملها تلك الأسفار التي رآها أول ما رآها في مكتبة جدّه، العالم الضريّر الذي كان حفيده يقرأ له الكتب وهو دون العاشرة من عمره. ولكن هذا الإيمان العميق بالتراث لم يمنعه من أن يفتح على المدارس والاتجاهات الحديثة في اللغة، بل كان أساساً متيناً لإنتاج رؤية تجمع في توازن دقيق، شهد به زملاؤه وطلابُه، بين هذا وذاك.

هذا التوازن ذاته كان سمة للوالد في جوانب شتى من حياته، إذ كان بشوشاً أجمل ما تكون البشاشة، حلو العشرة، قريباً من الجميع، لكنه مع كلّ هذا القرب احتفظ بمهابة لا تُخطئها العين، وكان قادراً على يكون صديقاً

طلابه دون أن ينتقص ذلك من جلال موقع الأستاذ والعالم. وكان حاضر البديهة وقادراً على صياغة الدعابة الرقيقة الذكية دون أن يمسّ مشاعر إنسان، ذلك أنه كان يُنزل إيذاء مشاعر الناس منزلة الخطأ الفادح فلا يقربه أبداً. وكان، طيب الله ثراه، كثيرَ الشناء على أساتذته الذين تلمذ لهم، حريصاً على إحياء سنتهم في الاحتفاء بالموهوبين من تلامذتهم، ففتح لطلبته صدره قبل بيته، وكنا نحن شاهدين على جلساته معهم، وما فيها من ود واحترام، ونقاشات علمية جادة ومتنوعة.

أما نحن، أهل بيته، فهو لم يكن لنا بصدده الرحب الأب فحسب، بل الصديق والأستاذ والمدرسة الكبرى التي تحضن وتربي، وكان لنا المثل الأعلى بالمحبة والوفاء لأساتذته وأصدقائه ولعلماء العربية وحملة ألويتها. وكان الصّورة الأنصع في التواضع واحترام الآخرين، والقدوة الأولى في حب العلم والمطالعة، وقد كان له في جلوسه الطويل بين كتبه متعة ما بعدها متعة، شغوفاً عاشقاً لمكتبته لا يشغله عنها شاغل يغوص بين رفوفها منتقلاً من كتاب لآخر، يرشف من رحيق كل كتاب رشفة، وكأنه يخشى أن تفوته قراءته، فتارة مع كتب اللغة وعلومها، وتارة مع التراث والمخطوطات، وأخرى مع علوم القرآن والحديث، وأحياناً مع الشعر والملاحم، ولا تفوته الكتب العلمية ولا الروايات ولا كتب النقد على اختلاف مدارسه.

والدي الحبيب:

أنت خير من يقدر ما في من إرباك في هذه اللحظات، فلتكن ابتسامة الرضا التي عهدناها على محياك، شفيحاً لي عند أساتذتك ومحبيك الذين اجتمعوا اليوم وفاء لك، واعذرني إن قصّر البيان وارتجف القلب واللسان،

وأنى لمثلي أن يعبر عما في صدر والدتي الحنون وأخواتي الثلاث شقيقات الروح، وقد بلغ منا الحزن مبلغه، فلا يكاد قول يصف حالنا أفضل من بيت أبي الطيب:

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي يُضني كذاك الذي يُيلي

أيها الحفل الكريم:

لقد تحدث الأساتذة اليوم عن والدي بما يثلج الصدر ويُبلسم الجرح، وستظل كلماتهم مصدر فخر واعتزاز لنا بهذا الإرث الطيب، الذي يحملنا مسؤولية مضاعفة لنكون أهلاً لحمله والحفاظ عليه إن شاء الله، فنال ثواب برّنا به، ونكون ممن قصدهم المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

ختامًا، اسمحو لي أن أتوجه باسم والدتي الكريمة وباسم أخواتي وجميع أفراد عائلتنا بجزيل الشكر والتقدير لمجمع اللغة العربية في دمشق، رئيسًا وأعضاء، على تكريمهم بإقامة هذا الحفل التأسيني، وأن أحيي أساتذة والدي الأجلاء وأصدقاءه وزملاءه وطلبته وسائر الحضور الكرام الذين كان لمشاركتهم ووجودهم أطيب الأثر في نفوسنا جميعًا. رحم الله والدنا الكريم، وجزاه عنا وعن العربية خير الجزاء، وأطال الله أعماركم، وحفظكم جميعًا ممتعين بالصحة والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *



- ولد الدكتور عبد الإله نبهان في حمص عام ١٩٤٥ م.
- المؤهلات العلمية :
- إجازة في اللغة العربية وآدابها - جامعة دمشق ١٩٦٨.
- دبلوم الدراسات اللغوية العليا - جامعة دمشق ١٩٧٦.
- ماجستير في اللغة العربية - مرتبة ممتاز - جامعة دمشق ١٩٨٠.
- دكتوراه في اللغة العربية وآدابها - مرتبة الشرف - جامعة دمشق ١٩٩٠.
- عمل مدرساً للغة العربية في ثانويات حمص ومعهد المعلمات فيها ١٩٧٠ - ١٩٨٠.
- التحق بجامعة البعث وتدرج في مراتب التدريس ١٩٩١.
- أغير إلى جامعة الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٨ - ٢٠٠٢.
- انتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٧ أيلول ٢٠٠٨ خلفاً للشيخ طاهر الجزائري.
- له العديد من الكتب اللغوية والثقافية والدراسات والمقالات وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية.
- توفاه الله بحمص في ٢٦/١٠/٢٠٢٠ م.